



زغلول عبد الحليم - مصر

هذا رأي العلامة محمود شاكر.. في رفاعة الطهطاوي!

وقد ولد رفاعة الطهطاوي ١٨٠١م، وأتم حفظ القرآن، وقرأ شيئاً من متون العلم المتداولة على بعض العلماء في بلده، وبعد وفاة والده رحل إلى القاهرة. وفي السادسة عشرة من عمره ١٨١٧م؛ انتظم في سلك طلبة الأزهر، وتلقى العلم عن شيوخه ثماني سنوات، وكان محباً للأدب. وفي سنة ١٨٢٤ عين واعظاً وإماماً في إحدى ثكنات جيش محمد علي.

إذن: نحن أمام شاب في الثالثة والعشرين من عمره، لا يمكن أن يكون له شأن يذكر في الثقافة المتكاملة التي عاشت فيها أمته ثلاثة عشر قرناً، ثم يختار هذا الشاب سنة ١٨٢٦م ليصبح بعثة إلى فرنسا ليكون إماماً لأعضائها، كان ذكياً! نعم، كان محباً للعلم والأدب.. أدب عصره وشعر عصره! نعم، كان قوي العزيمة! نعم، كان نابهاً بين أقرانه، ولكنه على ذلك كله كان في الخامسة والعشرين من عمره!! أي صيد ثمين تلقفه (المسيو كومار) بخبرته وحنكته وتجربته وبصره النافذ؟

ويقول الدكتور يوسف عز الدين (في العدد رقم ٦٥ من مجلة الأدب الإسلامي): إن رفاعة الطهطاوي جبل من الثقافة والمعرفة لم يتكرر في عصر النهضة الحديثة. وإنه فرد أصلح أمة" (ص ٦٨).

فإذا كان رفاعة فرداً أصلح أمة - لا أدري كيف أصلحها - فماذا كان عمن سبقوه أمثال: (البغدادي ١٦٢٠ - ١٦٨٣)، و(الجبرتي ١٦٦٨ - ١٦٧٤)، و(ابن عبد الوهاب ١٧٠٣ - ١٧٩٢)، و(المرتضى الزبيدي ١٧٣٢ - ١٧٩٢)، و(الشوكاني ١٧٦٠ - ١٨٣٤)؟!

يقول العلامة محمود محمد شاكر في كتابه: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا (العدد ٤٨٩ من كتاب الهلال، ١٩٩١، مصر): "وإذا أمعنت النظر علمت أن عصر النهضة عندنا واقع بين منتصف القرن الحادي عشر الهجري إلى منتصف القرن الثاني عشر. ويقابله منتصف القرن السابع عشر إلى أوائل القرن السابع الميلادي: تذكر هذا ولا تنسه أبداً، فهو الذي يكشف لك اللثام عن التغير الفاضح الذي طفحت به حياتنا الأدبية الفاسدة" (ص ١١٩).

الأدب الإسلامي

٦٥

غياب النقد في أدب الانفعال.. الواقع والأثر

محمد إسماعيل

نجيب فاضل

أهيم الشعراء الدترال

د. غنوي لطفى إسماعيل

موقف الأدب الإسلامي من المذاهب الأدبية الغربية

د. وليد فاضل

رفاعة رافع الطهطاوي والتعريب الأدبي

١٩

الأدب الإسلامي

٦٥

غياب النقد في أدب الانفعال.. الواقع والأثر

محمد إسماعيل

نجيب فاضل

أهيم الشعراء الدترال

د. غنوي لطفى إسماعيل

موقف الأدب الإسلامي من المذاهب الأدبية الغربية

د. وليد فاضل

سلمه (كومار) إلى المستشرق الداهية (سلفستر دي ساسي) وبعد أن قضى رفاة ست سنوات في باريس ١٨٢٦ - ١٨٣١. قضى نصفها في دراسة التاريخ والجغرافيا والفلسفة والآداب الفرنسية. وقرأ مؤلفات فولتير وروسو ومنيسكيو. وقرأ بعض الكتب في المعادن وفن العسكرية والرياضيات- كما يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي في مؤلفه ص ٤٧٦ - هل هذا معقول؟!

لقد حَمَلَ رفاة الطهطاوي عبء عبقرية إنشاء مدرسة الألسن. كما حَمَلَ محمد علي عبء عبقرية الاهتمام إلى إرسال البعثات العلمية وهو الجاهل الذي ما تعلم قط!

ويقول العلامة محمود شاكر عن (مدرسة الألسن): "وضع رفاة الطهطاوي أساساً لمدرسة ملفقة - لا كلية كما يقول الرافعي- مبتورة الصلة كل البتر عن مركز الثقافة المتكاملة التي كان الأزهر مهدها قروناً متطاولة. وكان هو وحده مركز ثقافة دار الإسلام في مصر.

وكذلك أحدث رفاة صدعاً مبيناً في ثقافة الأمة. وقسمها إلى شطرين متباينين "الأزهر" في ناحية. و"مدرسة الألسن" في ناحية! وكذلك حقق رفاة الطهطاوي لدهاء الاستشراق أهم ما يتوقون إليه. وهو: وأد اليقظة الواحدة المتماسكة التي كان الأزهر مركزها من عهد



محمود شاكر

البغدادى والزبيدي والجبرتي، وفي وقت كان فيه محمد علي الجاهل يحطم أجنحة الأزهر ويضعه في قفص لا يستطيع الإفلات منه. ووئدت اليقظة التي كان الخمسة الكبار أبطالها!

والنفر منا لا يدري ماذا فعل رفاة الطهطاوي للأمة ليقول الدكتور عز الدين عنه: إنه (فرد أصلح أمة)!

صعب أن نتقبل هذا الرأي رغم أن الدكتور حسين فوزي النجار في كتابه عن رفاة الطهطاوي (من منشورات مكتبة الأسرة ص ٤) قال عنه: إنه إمام نهضة؟!

وأردد مع الدكتور عبد العزيز حمودة كلمته الرائعة في مقدمة كتابه الأكثر روعة:

"وطوال تلك السنوات كنت أنحي باللائمة على جهلي وتخلفي عن اللحاق بركب الدراسات الأدبية

والنظريات النقدية الحديثة، وهي تخلف كنت أقبله عن طيب خاطر بسبب أعباء الوظيفة الإدارية التي أثقلت كاهلي لسنوات طويلة. وفي أحيان كثيرة كنت أنحي باللائمة على تدني معدل ذكائي- الفطري منه والمكتسب" (ص ١٤، من المرايا المحدبة، من منشورات عالم المعرفة بالكويت).

لا شك في أن كتاب (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) من أهم الكتب التي يعتمد عليها كل من له صلة بالثقافة الجادة، ولكون مؤلفه علماً كبيراً من أعلام الأمة العربية الإسلامية. والغريب في الأمر هو اعتبار رفاة الطهطاوي أنه (رجل أصلح أمة)! وهو ما لم نقرأه تقريباً عن التعريف برفاة الطهطاوي إلا فيما كتبه د. حسين فوزي النجار عن رفاة (إمام نهضة ورائد فكر) أي فكر؟؟ فكر جومار المستشرق الفرنسي الذي علم رفاة، وأطلقه يفعل الأفاعيل، كما علم كريستوفر سكيب د. لويس عوض، وكما علم مرجليوث د. طه حسين.

أزمة ثقافية متراكمة؛ ولكن أين الدكتور "محمد محمد حسين" ليدفع عنا هذا البلاء الذي أحاط من كل جانب، وينبه عقل الأمة أن حصوننا مهددة من الداخل. نعم حصوننا مهددة من الداخل! ■